تكويـــن المكتبييـــن:
جهـــاز وقايـــة ضـــد التغيـــرات

د.عـــز الديـــن بودربـــان

أستاذ محاضر

قسم علم المكتبات

جامعة منتوري قسنطينة

مقدمـــة

إن العنصر البشري حجر الزاوية في عمليات البناء والتشييد في شتى الميادين. ومن البديهي أن يكون عنصرا مؤثرا في التحولات والتغييرات الحاصلة، بسبب الظروف المختلفة المحيطة به، وهذا ما ينطبق على المكتبيين خاصة في ظل التطورات التكنولوجية الحديثة في مجال المعلومات، وما أفرزته من متغيرات منحت إلى هؤلاء المهنيين أدوارا جديدة ودفعتهم إلى استخدام هذه الآليات الحديثة في أعمالهم حيث يزيد اتصالهم وارتباطهم بها (1). ولمواجهة هذه التغييرات ينبغي على المهني أن يغير عقليته ومفاهيمة وأساليبه وأدواته في فهم الواقع وفي إدارة الأشياء. (2)

إن كفاءة المتخصص تبرز في قدرته على الاستجابة لحاجيات المتكونين، وتمكنه من إيصال معارفه إلى الآخرين برغم وجود الصعوبات الكثيرة والمتنوعة. وحتى ينجح المهني في هذه العملية، لا بد أن تتوفر فيه بعض المواصفات، تبرز مهامه، مسؤولياته، وأهميته في المؤسسة والمجتمع.

1. المكتبـــي ومجـــالات الاقتحـــام

«إن الانتقال إلى مجتمع المعلومات...يتطلب قدرات متطورة للتأقلم»(3).وما دام أن سبل السيطرة على كيفية استعمال المعلومات أصبحت تشكل إحدى المشاكل العويصة بالنسبة للمجتمعات الحديثة، فذلك يعتبر ورقة رابحة في يد المختص في المعلومات، يمكن أن يوظفها من خلال مساعدته لأفراد المجتمع على حسن استخدام المعلومات، والسيطرة على تقنيات البحث عنها، حتى لا يتأخروا عن مواكبة ثورة المعلومات، وحتى لا يصبحوا بمثابة الطبقة الكادحة لهذا العالم ، فمهما أحببنا أم

تطور التنظيم والتسيير التي توصلت إليها التجارب العالمية الرائدة في هذا المجال».(23) إنه لا يمكن أن توجد مكتبة بدون مستفيدين، في وقت أصبح المجتمع المعاصر حيويا،يحتاج إلى أشخاص لديهم القابلية على التغيير والتكوين المستمر، لذلك فبإمكان المكتبة أن تكون شريكا أساسيا في تكوين أفراد المجتمع وفي تحضيرهم للاندماج السريع داخل هذا المحيط المعرفي الديناميكي المتغير، وعلى المكتبي المؤهل إستغلال هذه الفرصة الثمينة للاجتهاد في إرساء الحاجة إلى المعلومات وترقيتها، وتشجيع هؤلاء الأفراد، على استخدام أوعية المعلومات الحديثة، وبالتالي توسيع إنتشارها وترقية مكانتها في المجتمع الحديث. «حتى تنتعش وتبقى متميزة، حتى تبقى حية ولها مساهمة معتبرة في المجتمع،يجب على المهنة أن تتغير»(24)

وعندما تتمكن الإدارة التكوينية في بلادنا، ويستطيع المكتبي مواجهة ثورة المعلومات المتدفقة، ذات الأبعاد والنتائج العميقة، ثورة المناهج التكوينية الجديدة والمتجددة ومواكبتها بفعالية، يمكن القول إننا هيأنا السبيل أمام الأجيال لكسب العلم والمعرفة وتجنب الصعوبات، بعد أن أصبحت ثقافة التكوين «تعني الفهم والقدرة على تكييف هذا الفهم، وتطويره»(25)

خاتمـــة

من خلال كل ما سبق، يمكن أن نعتبر التكوين بمثابة وسيلة تمكننا من التحصيل على قدرات إضافية نحن بحاجة إليها في هذا المجتمع المعقد والمتجدد. إذا كان التكوين الأصلي لكل فرد بمثابة المصفاة التي يحتاجها لانتقاء المعلومات المستقاة من مجتمع المعلومات،فإن الاستمرار في التكوين يمكن اعتباره بمثابة البوصلة التي توجهه وسط هذه الغابة الكثيفة،والتي تقيه من الضلال. (26)

إن عملية جمع، ومعالجة، وتوزيع المعلومات، أصبحت تمارس خارج مؤسسات المعلومات من قبل متخصصين في الحاسوب والاتصالات، وهذا يعني أن هناك منافسة (27)

يجب أن تتصدى لها مدارس علوم المكتبات بمناهج حديثة ومتطورة، تمكن الخريجين من دخول منافسة تقنية المعلومات بثقة تامة. (28)

ما يحتاجه مختص المعلومات حاليا لمواكبة مجتمع المعلومات، هو التكوين الجيد، الذي ينمي قدراته الإبداعية، ومهاراته، لأن الأجهزة الآلية الحالية تحتاج إلى مهنيين عمليين فورا. وحتى لا يبقى المختص مهمشا عليه بذل مجهودات أكثر لتحسين وسائل البحث عن المعلومات، وإنجاز وسائل تعليمية جديدة، وأوعية سمعية بصرية متعددة الأشكال. ينبغي كذلك أن يفكر في أنواع جديدة للشراكة تمكنه من تدعيم مركزه في المجتمع، ومن إبراز فعاليته ما بين التخصصات الأخرى.

كرهنا، ينبغي أن نعمل على تحضير الأجيال الحالية للدخول في عالم التطورات التكنولوجية، وفي مجتمع أساسه المعلومات والمعرفة (4). إن المكتبة هي بمثابة المفتاح الذي يفتحُ أبواب الطرق السريعة للمعلومات. (5)

وبفضل المفاهيم والابتكارات التربوية الحديثة، تطور مجال التربية والتعليم، وأصبح المعلم عبارة عن موجه، بعدما كان يعتبر المصدر الأساسي لتلقين المعرفة، لقد أصبح للتوثيق دور محوري في العملية التعليمية، إضافة إلى أهمية استقلالية المتعلم، الشيء الذي زاد من أهمية مهام مختص المكتبات والمعلومات من خلال مساهمته الفعالة في العملية التعليمية. فالتلميذ الذي يمر حتما بشتى المؤسسات التوثيقية الموجودة بكل المراحل التعليمية، يكون بحاجة إلى مختص في المكتبات والمعلومات، لمساعدته في مشروعه التعليمي، وحتى بالجامعة هناك مكتبات جامعية بها مختصون في أتم الاستعداد لمساعدة الطلبة، والأساتذة في مشاريعهم التربوية والعلمية والبحثية.

أما خارج المؤسسات التعليمية فهناك مكتبات دور الثقافة، المكتبات العامة، ومكتبات الأحياء تستقبل هؤلاء التلاميذ والمعلمين والأساتذة وشرائح أخرى من المجتمع، فالحضور الدائم والناجع لمختص المكتبات والمعلومات بهذه المؤسسات من خلال خدمته للمجتمع، ومن خلال النشاط والحيوية والتكوين والفعالية سيزيد المهنة أهمية ويعطيها فضاءا أوسع من الناحية الثقافية، وحتى الاجتماعية. يبقى إذن على مختص المعلومات أن يعمل على تقليص المسافة الموجودة بين المكتبة والمجتمع.

أما في المؤسسات الاقتصادية، فهناك شرائح أخرى بحاجة إلى معلومات علمية وتقنية تستقيها من مراكز التوثيق الموجودة بهذه المؤسسات، والمسيرة من طرف مختص، بإمكانه أن يلعب دورا أساسيا بالنسبة إلى تسيير نظام المعلومات، وأن يشارك في ترقية النشاط الاقتصادي للمؤسسة، بفضل توظيف المعلومات كعنصر حيوي في العملية التسيرية، التسويقية والتجارية. يمكن تدعيم هذا الجانب من خلال القول الآتي:

«من يملك المعلومات الصحيحة في الوقت المناسب يملك عناصر القوة والسيطرة في عالم متغير، يستند على العلم في كل شيء، ولا يسمح بالارتجال والعشوائية».(6)

وبفضل وظيفته هذه التي يمكن أداؤها على مستوى مجالات واسعة، ومختلفة بالمجتمع، يمكن لمختص المكتبات والمعلومات أن يؤثر في شرائح عديدة ومتنوعة من الفئات المهنية والاجتماعية. فكلما كان تكوينه جيدا، كلما اقتنع أفراد المجتمع بكفاءته، بل وكلما استطاع أن يبرز أهمية المهام التي يقوم بها لفائدة كل من المتكونين، المؤسسات، والمجتمع، كلما تفطن هؤلاء الأفراد إلى مكانة هذا المجال في

تسيير أمور الفرد والمجتمع، ذلك سيجد الدعم من المشاركين في التكوين، من المثقفين، ومن المسيرين، والخبراء والفنيين، وحتى من رجال السياسة الذين تكونوا في يوم ما على يد مختص المعلومات، قبل أن يتقلدوا كل هذه المسؤوليات. وإذا تمكن مختص المعلومات من نزع هذا الاعتراف بأهمية المهنة من كل هؤلاء، ضمن اندماجه في المجتمع، وضمن الفرصة لإثبات وجوده، ودعم مركزه الاجتماعي والمهني أكثر فأكثر، بالعمل الجاد والكفاءة والسلوك الملائم.

2. التكويـــن وهاجـــس التكنولوجيـــا

تمتلك التكنولوجيا الجديدة للمعلومات، قدرة على تقديم بعد آخر لتسيير المكتبات، وتلبية حاجات المتعلمين. إن التدريب في هذا المجال يبقى عملية مستمرة تتغير وتتطور، كما هو الشأن بالنسبة للمجتمع. فالتدريب يسمح للمكتبي أن يلم بالطرق الحديثة للتسيير الإداري، التقني والعلمي لأنظمة المعلومات، الشيء الذي يمكنه، قبل توزيع المعلومات بطريقة جيدة،من إستعابها، وتحليلها وتقييمها.

إن التدريب يساعد المكتبي على التسيير العقلاني للكم الهائل من المعطيات المتوفرة، وعلى تحليل احتياجات مستعملي المكتبة، حتى يقيم إمكانياتها، ويحدد بالتدقيق أهدافها. فالتدريب هو عبارة عن مخزن أسلحة علمية في أيدي المكتبي توجهه نحو طرق عمل منهجي، تمكنه من تحقيق كل النشاطات. إن انعدام التدريب هو ثغرة غير مسموح بها، لأن عواقبها وخيمة بالنسبة للعملية التعليمية. ويستطيع المكتبي الخروج من دهشته أمام الوسائل الحديثة، المتنوعة والمعقدة، وأمام ضخامة سعة المعلومات. ومن الممكن أن يصبح المكتبي الذي لا يحسن استعمال كل هذه التقنيات والوسائل الحديثة غير فاعل تجاه مهامه، ويتضاءل في نشاطه وعمله، وقد يصبح عدم الإلمام بهذه القدرة «ضيقا، تعبا أو ألما مخيفا» (7) ذلك ما دفع الأستاذ الدكتور الصوفي إلى القول: «إن الحديث عن ثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصال، لا بد أن يواكبه حديث عن ثورة التكوين، للسيطرة على هذه التكنولوجيا المتطورة بسرعة كبيرة، حتى لا تصبح مهنة المكتبات فائضة عن الحاجة».(8)

ونظرا لأهمية السيطرة على تقنيات البحث عن المعلومات، واستعمال وسائل المعلومات بشتى أنواعها وحتى لا يحس المكتبي بنوع من الإعاقة في هذا المجال، يجب أن يكون تكوينه مستمرا رفيع المستوى، يستجيب إلى تطورات المهنة، وحاجات المكتبات، ومستفيديها، ويساعد على التكيف مع تطور التقنيات والمعارف: «إن التطور المستمر الحادث في مجال المهنة يعطي للتعليم المستمر في مجال المكتبات بعدا ضروريا».(9)

من هنا تبرز أهمية وضع سياسة لتدريب المهنيين حتى تبقى هذه العملية «مقود التغير بالنسبة للمكتبات ومراكز المعلومات» (10). إن التغيير السريع في الوسائل الإلكترونية قد أحدث نوعا من القلق لدى اختصاصي المعلومات (11)، لكن إدماج هذه الوسائل الحديثة في المكتبات سيكون حقيقيا، ناجعا، فعالا، وسهلا إذا تجاوب المكتبيون مع هذه الوسائل، وإذا تمكنوا من حسن استعمالها، وفهموا أنه ليس من الضروري أن تتطلب هذه التقنيات منهم جهودا كبيرة، إذا كانوا على استعداد لتحسين طرق عملهم.

ومن الضروري كذلك،أن نفكر في تدريب المكتبي كمستعمل للمعلومات، وكمنتج لها وليس كمستهلك فقط لهذه المادة، حتى يتوجه نحو بناء قواعد بيانات داخلية في المكتبة، ويتحلى بروح المسؤولية، وبدون أن يكون رد فعله تجاه التغير عبارة عن «يأس أو حماقة، بل يتسم بسلوك واقعي».(12) إذا تمكن المكتبي من السيطرة على استغلال هذه الوسائل بهذه الكيفية، فإنه لا يتخذ موقف الرافض تجاهها، ويستطيع هكذا أن ينمي قدرات القراء في التردد على المكتبة، واستعمال المراجع مهما كان نوعها،الشيء الذي يؤدي بهم إلى اكتساب الاستقلالية في البحث والعمل.

3. الإندمـــاج في مجتمـــع المعرفـــة

يعيش العالم اليوم «في عصر السباق العلمي المعلوماتي، وإن من فقد في هذا السباق مكانه، فإنه لن يفقد تقدمه وتطوره فحسب، بل سيفقد إلى جانب ذلك أيضا، ذاته وإرادته، وهو احتمال لا يجوز أن نتعرض له».(13)

من خلال هذا القول نفهم أن الأمور تغيرت، وأنها في تغير دائم، وسوف تستمر في التغيير، وعلينا بالإستعداد التربوي والعلمي حتى نتمكن من الإندماج في مجتمع جديد بمعطياته وقواعده وحتى بحضارته، إننا اليوم بحاجة إلى مهنيين يمتلكون «المرونة الكافية للتعامل مع التغيرات المستقبلية»(14)، لذا يجب خلق محيط داخل المكتبات ومراكز المعلومات يمكن الأفراد من التمتع بالحرية في حق الولوج إلى المعلومات، وحق التدريب على استعمالها واستغلالها في مجتمع أساسه المعلومات والمعرفة(15)، إن ثقافة المعلومات أصبحت خاصية من خصائص أفراد المجتمعات المتقدمة ويصعب على أي شخص تحصيلها بدون الإعداد لها، وبدون تحضير ركائز أساسية تقوم عليها حتى لا يحدث الإنقطاع أو الإنكسار. إن ثقافة المعلومات تتميز بثلاثة معايير أساسية تتطلب من كل فرد (16):

- الولوج إلى المعلومات بنجاعة وفعالية.
- تحليل المعلومات بحس نقدي وبكفاءة.

- استعمال المعلومات بدقة وإبداع.

فالتربية لم تعد «تقتصر على تعريف التلاميذ بالحقائق العلمية فحسب، وإنما أصبحت تتناول كيان الفرد، فتوقظ قواه الداخلية، وتحلو مواهبه، وتفدي ثقافته، وتدفعه للبحث والإطلاع، والخلق والإبداع»(17) فكيف يمكن أن نكون متفائلين بمستقبل الأجيال الصاعدة في بلادنا، ونحن نجد المكتبة بمؤسساتنا مغيبة تماما عن العملية التكوينية ونشاطاتها محدودة جدا بينما التلاميذ، جيل المستقبل، لا يتحكمون في قواعد البحث الوثائقي؟. إن وضعية أنظمة المعلومات الوثائقية في بلادنا لا تسمح «بالاندماج والتكيف مع التحولات الجذرية التي يعرفها المجتمع العالمي، بحكم أن هذه الأنظمة الوثائقية تجاوزتها الأحداث ولم تجد بعد المناخ أو المحيط الذي يسمح بتطوريها وإعطائها الإمكانيات اللازمة لمسايرة التطور الذي يعرفه الإختصاص على المستوى العالمي».(18)

لقد برهن الشباب أنهم أكثر استعداد لمواجهة التطور التكنولوجي، وذلك باستعمالهم لبعض الوسائل الحديثة كالحاسوب والمليزرات وما إليها، بدون أية عقدة. إننا نطالب بتوفير الوسائل الحديثة، والبرامج التكوينية التي تمكن كل أفراد المجتمع من السيطرة على التقنيات الحديثة للبحث عن المعلومات. لقد «أصبح الويب (WEB) يدفع رجال التربية من المرحلة التعليمية التحضيرية إلى مرحلة التدرج، على إعادة التفكير في الطبيعة الأصلية للتعليم، والتعلم والتمدرس»(19) أما بالنسبة إلى ألفة الكبار بالوسائل والطرق التكوينية التقليدية، فهذا أمر طبعي يتطلب من المشرفين على القطاع التكويني الشروع في عمل تحسيسي لإزالة العوائق النفسية، وتشجيع كل الناس للتدريب على إستعمال هذه الآليات من خلال برامج تكوينية خاصة ومدروسة. «لقد أصبح إدماج التكوين على المنهجية الوثائقية شيئا حتميا في مجتمع المعلومات»(20)، إن إدماج الوسائل الحديثة في العملية التكوينية يجعل النشاطات عادية، تدخل في نطاق النشاط اليومي للمكوّن. «إن الوعي بالحاجة إلى المعلومات يعتبر أحد الأوجه الأكثر أهمية في عملية البحث عنها»(21).

يجب أن «نغير الدهنيات بالنسبة إلى أهمية المعلومات ووسائلها، مع استغلالها جيدا في مجالات تربوية لتحقيق سياسات البحث»(22) وإذا كانت هناك بعض النشاطات الحديثة المعزولة عن البحث الوثائقي في بلادنا، فيمكن اعتبارها في حكم الغائبة عن النظام التكويني مادام هذا النظام لا يقرها ولا يطالب بضرورة اعتمادها وستبقى بذلك نشاطات فردية محدودة، إن لم تبرز إلى الوجود، عن طريق الإصدارات والنشرات العلمية حتى يتعرف عليها الجميع ويشاركون في استخدامها وفي تطويرها.

إن إرادة الأفراد،والمبادرات الشخصية، لا تكفي لوحدها،بل هي بحاجة إلى تطعيم، وتدعيم من طرف الهيئات الوصية العليا، وإلى منهجية العمل التنسيقي، وإلى ضبط الجهود الفردية واستغلالها في إطار تعاوني، مرهون بمدى التحكم في مسايرة

ي،زين العابدين،استخدام شبكة الإنترنت في المكتبة العربية. الاتجاهات المعلومات،1995، ع، 3.ص.135.

6 – **Abid, A., Giappiconi, T.** La Révision du Manifeste de L'Unesco sur les Bibliothèques. BBF. 1995, n.4, n.40, p.8-14.

7– **مكاوي، حسان عماد،** تكنولوجيا الاتصال الحديثة في عصر المعلومات، القاهرة الدار المصرية اللبنانية، 1997. ص.27

8– **Mager R, F.** Pour éveiller le désir d'apprendre. Paris: Bordas, 1978, p.35.

9– **صوفي،عبد اللطيف.** التكوين العالي في علم المكتبات والمعلومات، أهدافه، أنواعه، واتجاهاته الحديثة. قسنطينة: جامعة منتوري قسنطينة، 2002. ص 70.

10– **محيريق، ع. مبروكة.** العاملون بالمكتبات ومراكز المعلومات والتعليم المستمر. المجلة العربية للمعلومات. 1993. م 14. ع .1 ص.115.

11– **Pastor, J.L., Calenge, B.** Statuts, fonctions et organigrammes: Réflexion sur les métiers des bibliothèques. BBF. 1994, vol.39, n.4, p.38.

12 – **Schamber, L.** What is a document : rethinking the concept in uneasy times. Journal of the American Society for Information Science. Sept 1996, vol.47, n.9, p.670.

13 – **Schamber, L.** Ibid.p.671.

14– **صوفي، عبد اللطيف.** العولمة وتحديات المجتمع الكوني. قسنطينة: مطبوعات جامعة منتوري، 2001. ص 102.

15– **بطوش، كمال:** بوابة المكتبات الجزائرية: ضرورة معرفية وحتمية تكنولوجية. فعاليات الندوة الوطنية حول توحيد الإجراءات الفنية في المكتبات الجزائرية. الجزائر: قسم علم المكتبات/ المكتبة الوطنية الحامة، 2004. ص.168. 2002. ص 89 – 90.

16– **Raseroka, K.** Libraries for Lifelong Literacy. IFLA Journal. 2003, Vol. 29, N° 2, P.110.

17 –**ARP, L. et Woodard, B.C.** Information Literacy and intruction. Reference and user quarterly. 2002, Vol.42 n.2, p.126.

18– **صوفي،عبد اللطيف.** المكتبة المدرسية تنظيمها، مصادرها ودورها في مستقبل التربية. دمشق: دار الأطلس للنشر، 1990. ص 28.

19– **عبد الحميد، أعراب.** التعاون العربي في مجال المكتبات والمعلومات. الندوة العربية حول التكوين الجامعي في مجال علم المكتبات والمعلومات. الجزائر: قسم علم المكتبات، 2001. ص 373.

20– **Bilal, D.** Perspectives on children's Navigation of The World Wide Web: Does The Type of Search Task Make a difference? Online Information Review. 2002 m Vol. 22, N 2, p.111.

21– **Colan, A.** La Formation à l'usage de l'information dans l'enseignement supérieur. BBF, 1999, Vol. 44, N°.1.

22– **Pochet, B. et Thirion, P.** Formation documentaire et projets pédagogiques. BBF. 1999, Vol.44, N°.1.

23– **Faure, M.R. Healy, J.C . et Rusch, P.** Education à L'information scientifique et technique ou éducation à la recherche. Cahiers de la Documentation. 1992, N° .2, P.37.

24– **عبد الحميد، أعراب.** تحسين خدمات المكتبات الجزائرية. نحو سياسة موحدة لتسويق المعلومات. فعاليات الندوة الوطنية حول تسيير المكتبات. توحيد الإجراءات الفنية في المكتبات الجزائرية. الجزائر 22-23 ديسمبر 2003. قسم علم المكتبات والتوثيق بالجزائر/ المكتبة الوطنية الحامة، 2004. ص.97.

25– **Clyde, L. A.** Continuing Professional Education for the information society. IFLA Journal 2003, Vol.29, N°.1, p.19.

26– **Childers, S.** Computer Literacy: Necessity or Buzzwork? Information technology and Libraries. Sep.2003, Vol 22, N°.3, p.102.

27– **Blanquet, M.F.** op.cit.p.10.

28– **بومعرافي، بهيجة.** الاتجاهات الحديثة في تطوير مناهج علوم المكتبات والمعلومات،الندوة العربية الخامسة للمعلومات حول وضعية دراسات المكتبات والمعلومات في الوطن العربي: التوجهات المستقبلية. تونس: مركز التوثيق الإعلامي، 1995. ص.133.